

# أبو العلاء المعري وتأثيره في الأدب الأرمني عبر ملحمة (أويديك إسحاقيان)

□ د. هوفسيب غزاريان \*

أ - العلاقات الأدبية العربية الأرمنية قبل القرن العشرين:

ظلت العلاقات الأدبية العربية الأرمنية خلال الحكم العربي على أرمينيا - أو ما أرخت من هذه العلاقات - عند حدودها الدنيا. وقد نعزو أسبابها إلى الاختلاف الكبير في البيئة الجغرافية والحضارية، فالأدب قبل كل شيء وليد البيئة، ومن بعد الاختلاف الديني ثم مقاومة الاحتلال حكماً وثقافةً.

تصدرت ترجمات الكتب الطبية في اللغتين قائمة التبادل الثقافي غير الأدبي، ثم كتب التاريخ وكتب الرحالة العرب في صوف البلدان بالعودة إلى الأدب، فأقدم ترجمة من اللغة العربية إلى الأرمنية كانت لمقتطفات من «حكايا ألف ليلة وليلة»، في فترة ما من العصر العباسي الأول.

وأقدم وثيقة وصلتنا عن التواصل الأدبي هي رسالة لكريكور ماكيسدوس باحلافوني<sup>(١)</sup>، حيث يذكر أنه كان مولعاً بالمتنبي. وكان ملماً بعلم العروض العربي مما يتبين من كتاب عروض ألفه باللغة الأرمنية وخلال العصور الوسطى كان الشعراء المتجولون الأرمن يعتمدون التفعيلات العربية والأنماط

<sup>(١)</sup> كريكور ماكيسدوس باحلافوني (٩٩٠ - ١٠٥٨)، قائد عسكري، لغوي ملم بالأرمنية والعربية واليونانية والفارسية. واسعة الاطلاع على ثقافات عصره من أدب وفلسفة ورياضيات وقواعد وتاريخ وصلتنا آراءه في التربية والتعليم. مؤسس وراعي ومحاضر في كلية كانت بمثابة مجمع علم. اعتبر علامة عصره.

العروضية الدراجة في حينه في بلاد فارس. إلا أن لأعظمهم جذوراً سورية. فالشاعر والمغني الكبير هاريتون نشأ وترعرع في مدينة حلب ولقب بـ «سايات نوبا» أي «أمير الغناء» وكانت حياته من ١٧١٢ إلى ١٧٩٥. واستمر اعتماد التفعيلات العربية في الشعر الأرمني إلى عام ١٨٩١ إذ صدر في مدينة شوشي في مقاطعة كاراباخ كتاب عروض لـ أفيديك باهاتريان. وكانت شوشي آنذاك العاصمة الفكرية لأرمينيا الشرقية. أثبت المؤلف في هذا الكتاب أن التفعيلات العربية غير مجدية للغة الأرمنية، لكون الحروف الصوتية الأرمنية متساوية في الطول، حيث لا فرق بين «فعول» و«فاعل» أو بين مستفعلٌ و«مفاعيل» وفي القرن الحادي عشر ظهرت وتنامت في مقاطعات أرمينيا الغربية وكيليكا ما أسمته العلماء بـ «اللغة الأرمنية الوسطى» أو «عامية كيليكا» وظلت متداولة في الأدب - إلى جانب اللغة الأرمنية الكلاسيكية - إلى أن ظهرت وتطورت الفصحى الأرمنية الغربية.

وبحكم تقاطعها الجغرافي فعامية كيليكا غنية جداً بالمفردات العربية، ونذكر من نتاجها «كتاب الثعلب» لـ «فارتان ابككسي» الذي يعد من أوائل الكتب الأرمنية المترجمة إلى العربية ونذكر مثلاً على شعراء هذه الحقبة «ناهايت كوشاك» الذي لا يمكن فهمه دون الإلمام باللغة العربية. ورغم اندثار «عامية كيليكا» إلا أن تأثير اللغة العربية ظل مستمراً من خلالها في اللهجات المحلية لمقاطعات أرمينيا الغربية وكيليكا - ونذكر منها على سبيل المثال مجموعة لهجات «زيتون» و«بيلان» و«السويدية» و«كسب».

### ب - أفيديك اشاهاكيان وقمة أعماله: ملحمة المعري.

- حياته: ولد في الكسندربول (حالياً كيومري) عام ١٨٧٥ درس في كلية كيغوريان (١٨٨٩ - ١٨٩٢) وهي كلية تابعة لبطركية ناثر الأرمن في «اجميازين». وكانت (وما زالت) تدرس اللاهوت والآداب واللغات والفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى. ولقد خرجت هذه الكلية منذ تأسيسها عام ١٨٧٤ أجيالاً متعاقبة من الأساتذة والأدباء والمفكرين ورجال دين تميزوا جميعاً بعقولهم النيرة وخدماتهم في التعليم ونشر الثقافة والإبداع.

قبل في جامعة «لايبزيك» كمستمعٍ حرٍ لمحاضرات الأدب والفلسفة ١٨٩٣ - ١٨٩٥.

عاد إلى الوطن وسجن من قبل سلطات روسيا القيصرية سنة كاملةً خلال ١٨٩٦ ثم نُفي إلى «اوديسا» اغترب إلى سويسرا حيث استأنف دراسته في جامعة «زيورخ» في الأدب والفلسفة. عاد إلى الوطن عام ١٩٠٢ وسجن ثانية لمدة سنة عام ١٩٠٨ أطلق سراحه شرطياً عام ١٩٠٩، حيث كان يخضع لتحقيقات متتالية. اغترب ثانية عام ١٩١١.

عاد إلى جمهورية أرمينيا السوفيتية عام ١٩٢٦ ورحل عنها عام ١٩٣٠ إلا أنه عاد بشكل نهائي إلى الوطن عام ١٩٣٦ حيث أقام حتى وافته المنية عام ١٩٥٧. وكان رئيساً لاتحاد كتاب أرمينيا من ١٩٤٦ حتى وفاته.

### - حياته السياسية:

كان اساهاكيان عضواً بارزاً وقيادياً في «حزب اتحاد الشوار الأرمن» أو فيما يُعرف منحصراً بحزب «الطاشناك»، وكان يرأس المجلة الرسمية للحزب («تروشان» بمعنى «العلم») في سويسرا. وكان برنامج عمل الحزب الرئيسي هو إرغام الدولة العثمانية على إجراء إصلاحات واسعة في الست ذوات ذات الأغلبية الأرمنية.

وبين (١٩٠٤ - ١٩٠٧) دخل في برنامج نضال الحزب «المخطط القوقاسي» حيث اعتنق الحزب بصريح العبارة المنهج الاشتراكي ودعا إلى مؤازرة الأحزاب اليسارية الأخرى في محاربتها للنظام القيصري وإلى وحدة شعوب قوقاس وعدم انسياقها وراء دعوات الفتنة التي كانت تنشرها السلطات القيصرية ولهذه الحقائق آثارها العميقة على حياة اساهاكيان ونتاجه الأدبي.

### - اساهاكيان المجدد:

بدأ اساهاكيان بنشر قصائده الأولى في المجلات والدوريات الأرمنية عام ١٨٩٢ وفي عام ١٨٩٧ صدر له ديوانه الأول بعنوان «أغاني وجروح». كان الأدب الأرمني الشرقي<sup>(١)</sup> قبل اساهاكيان ملتزماً بالقضايا القومية والاجتماعية التزاماً مطلقاً وكانت خطاباته متعالية ورنانة وجافه تنقصها جمالية الإبداع ولا مكان فيه للفرد وعواطفه. حاول «سمباط شاهازيز» ومن بعده الشاي «هوفانيس هوفانيسيان» - وهو أستاذ اساهاكيان في الكلية - إحداث تغيير في مفهوم الأدب عامة والشعر خاصة. وكانت نجاحاتهم في ذلك محدودة جداً، إلى أن أتى اساهاكيان، ومعه تومانيان، وأحدثا ثورة عارمة في الساحة الأدبية.

<sup>(١)</sup> للغة الأرمنية المعاصرة فصحيان - الشرقي والغربية تكونتا ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، على أساس اللغة الأرمنية القديمة أو الكلاسيكية ومتأثرتين بمجموعة اللهجات المحلية لكل منطقة. وكانت منامي تطور الأدبين مختلفه عن بعضها. فالشرقية كانت متمركزة في شوسي ويريفان وتبليسي. أما الغربية فكانت متمركزة في اسطنبول.

وربما من عوامل نجاحهما - غزارة الإنتاج ، وصدق العاطفة وعمقها ، وبساطة الموضوع والإنشاء وسهولة اللغة وسلاستها.. مما أتاح لهما التواصل مع أوسع قاعدة شعبية وجعل الشعر وقراءته وإلقائه والتغني به في تناول الجميع مواضيع قصائد أساها كيان : الحب وفقدان الحبيب - لقد عانى ذلك مرتين - وصف الطبيعة - الحياة الرعوية على سفوح الجبال ، الشوق والحنين إلى والدته وداره وقريته ووطنه.. أضف إلى ذلك «أناشيد الفدائي» قصائد عن الفدائيين الذين كانوا يضحون في محاربتهم لمظالم الحكم العثماني.. وجميعها قصائد نموذجية للشعر الرومانطيقي بالمبالغة في تفهيمها بالعواطف الفردية ، مع إيقاع وموسيقى متكاملتين.

ويلزم التأكيد أن لغته كانت مزيجاً من الأرمنية الشرقية الفصيحة واللغة العامية واللهجة المحلية لمقاطعته. ومن المفارقة أن لهجة بلدته كانت «لهجة أرمنية غربية» إلا أنه استطاع أن يصب كل ذلك في قالب التجانس - إن أمكن قول ذلك..

ظهر بعض التحول في اتجاهاته الأدبية عام ١٩٠٤ وفي عشية الثورة الروسية الكبرى نشر قصيدته المشهورة «جرس الحرية».. ومن حينه أخذ الطابع السياسي يلوّن شعره..

إلا أن المنعطف الحاد في حياته الأدبية كان عند لقائه بابي العلاء المعري واتخاذة إياه رفيق درب معه لازمه في أسفاره الأدبية ، وفي الهجرة والغربة..

كيف عرف اساهاكيان أبا العلاء وأين؟ للأسف لا نعرف. وهذا الغموض ، بالإضافة إلى بعض الأغلاط في مستهل الملحمة ، والقليل في سياقها جعل البعض يعتقد أن اساهاكيان لم يكن يعرف المعري..

(من أمثلة ذلك - عن المعري - عاش عشرات السنين في عاصمة الخلفاء.. ترك وراءه المال والجاه.. وزع أمواله على الفقراء..) دعونا نفترض أن هذه الأغلاط إنما هي مغالطات أدبية لتعظيم الأمور وإبراز التناقض وإضفاء الجو الملحمي.. وما تبع هو معري صادق بأفكاره وسيكولوجيته الاعتقاد السائد أن أساها كيان قرأ المعري باللغة الألمانية ، أثناء دراسته في أوروبا. إلا أنني مقتنع أن اساهاكيان «اصطدم» بالمعري سنة ١٩٠٩ ولم يكن المعري كامناً في نفسه طيلة سنين. لأن تناوله لموضوع المعري أحدث في أدب اساهاكيان شعراً ونثراً تحولاً سريعاً وجذرياً. وأرجح أنه اطلع على ترجمة فارسية للمعري. للأسف ، لم استطع إيجاد تاريخ ترجمة المعري إلى اللغة الفارسية في المراجع التي درستها. إلا أنه هناك مجموعة مفردات عربية الأصل وفارسية اللفظ أو فارسية بحثة تدعم هذا الفرضية.. ومنها على سبيل المثال - الجنة حدائق الورد - قصر - الجن - الحورية - والعبارة الفارسية الكاملة - الإبلis - نرجس - الوادي - القصيدة (من أوزان الشعر الفارسي) - السراب.

في نفس السنة التي ألف فيها اسهاكيان ملحمة ترجم قصيدة لأبي العلاء مؤلفة من ثمانية أبيات ونقرأ في رأس القصيدة أبو ال المهوري (٩٧٣ - ١٠٥٧) وفي أسفلها ١٩٠٩ ولشديد الأسف لم يذكر مصدره. ولقد أجرى الناقد الكبير ادوار جرباشيان دراسة حول ملحمة المعري في إطار الملحمة الرومانطيقية وقارنها بمثيلاتها في الأدب العالمي من - وملحمتي الشاعر البولوني (١٨٣٠).

وملحمة للشاعر الجورجي (١٨٤٢) - ومع نماذج أخرى من الملحمة الرومانطيقية. والمحور الأساسي المشترك في هذه الملاحم هو تقمص الشاعر شخصية ملحمة والهروب من المجتمع وطلب العزلة.

إلا أن جرباشيان لا يتطرق إلى الشخصية الحقيقية لبطل ملحمة اسهاكيان إذ إنَّ العائق اللغوي حال دون معرفته للمعري سيرة ونتاجاً.

فلنحاول البحث عن بعض الخطوط المشتركة بين اسهاكيان والمعري - التنسك وطلب العزلة هو ميل الشاعر إلى الانفراد بأفكاره والابتعاد عن التفاصيل للحصول على الصورة الشاملة تجنب المشاركة في المظالم والاستغلال والاستبداد، اتخاذ حياة الزهد الطوعي تشبهاً بغالبية أبناء الشعب واحتجاجاً على البذخ والترفع والإسراف والتكشف والزهد الطوعي مسلك طالما اتخذ من قبل مفكرين ملتزمين بالقضية الإنسانية عبر الصور من بوذا وسقراط وغاندي والنخ..

وانعزال اسهاكيان، كما هو الحال لدى المعري، لم يكن دافعه التهرب من المسؤولية تجاه المجتمع. فكلاهما اندمج في الحياة العامة بالتعليم وتقديم المشورة ومحاربة الاستبداد رغم الاضطهاد والسجن.

وخلافاً للمعري يبدي اسهاكيان الكثير من التشاؤم في هذه الملحمة «لقد أحببت أصدقائي، وكل إنسان قريب وبعيد.. والآن تحولت المحبة إلى حية تلدغني وتملاً قلبي سماً يفور». «والآن أكره ما أحبته في نفس الإنسان».. إلخ. هذه ظاهرة غريبة لاسهاكيان أيضاً وتعزى إلى أسباب عدة أهمها موجة القهر والاستبداد العارمة التي أطاحت كل أصقاع روسيا القيصرية بعد قهر الثورة الروسية الكبرى عام ١٩٠٥ وتعرض الآلاف للسجن والتعذيب. وحين كتب اسهاكيان هذه الملحمة كان قد خرج تَوّاً من سجن قضى فيه سنة كاملة كما أسلفنا الذكر، وكان يخضع للتحقيقات المضنية على استمرار وأمام الخيار الصعب الهروب والاعتراب أو مجازفة احتمال النفي إلى معتقلات سيبيريا.

والعامل الثاني أدبي إبداعى بحث. ومن أهم سمات الملحمة الرومانطيقية تعظيم الوقع العاطفي وتضخيم المفارقات وإطلاق عنان العواطف والخيال يبلغ تضرم النار في الشاعر أوجهاً، ولعل هذه الحقائق هي المسؤولة عن أروع صفحات الشعر الرومانسي جمالية وفي الوقت نفسه سبب ظهور هذه المدرسة.

**- الحكمة:**

هي ترجمة الأفكار الفلسفية النظرية إلى مقولات تتناول وقائع الحياة وتتفاعل معها وتمدها بالنصح والتوجيه الأخلاقي.

المعري حكيم على امتداد نتاجه ، من اللزوميات إلى رسالة الغفران والرسائل. تتجلى الحكمة في اساهاكياں في أعماله النثرية أولاً. له مجموعة قصص قصيرة عن حياة الحكماء من الصين والهند إلى بلاد فارس وأوروبا. ومن الناحية الأخرى نجد ترجماته نصوص منتقاة لقصائد مليئة بالحكمة..

**- الروحانية:**

هي التحرر من المحبس الثالث - جسم الإنسان - وكل ما يتعلق به من أمور دنيوية من طمع ونزوات وشهوات وحب السلطة والجاه.. هي هجر الأرض وسكانها بجميع إشكالاتها الفردية والجماعية والبحث عن المطلق وسعي روح الإنسان إلى الاتحاد بالروح الخالق.. وأعمال اساهاكياں - مثل المعري - مليئة بإبداعات شعرية ونثرية حيث يخلق في فراغات الروحانية والأزلية.. قلنا: إن الاندماج بين اساهاكياں والمعري أحدث ثورة في أدب اساهاكياں. فكيف كان ذلك؟.

غير اساهاكياں كلياً أساليبه اللغوية فكأنه تأثير باللغوي المعري. وتجنب من بعده استخدام العامية واللهجات ، وصار يكتب باللغة الأرمنية الشرقية الفصحى وعمد إلى تنقيح بعض قصائده الأولية التي أتيح له إعادة نشرها.

- في المضمون: توقف كلياً عن النحيب على نفسه وحبه وأشواقه وتحول إلى مواضيع اجتماعية وإنسانية شاملة وأنكر ذاته حتى أنه لم ينطق كلمة أو يكتب سطرًا واحداً عن المظالم التي تعرض لها في السجون ومصاعب حياة المهاجر الفار من وطنه. لقد تناول الكثير من المظالم في أدبه وحاربها بما أتاحت له من وسائل ، إلا أنها لم تكن المظالم التي تعرض لها شخصياً، بل تلك التي تقع على عاتق أخيه الإنسان من الصين والمغول والهند إلى بلاد فارس وروسيا وبلدان الغرب لم يتوقف تأثير الفيلسوف المعري في أدب اساهاكياں بل امتد خيوطاً رفيعة في نتاج الأدباء الشباب الذين تتلمذوا على يديه واعتبروه «معلم» الأدب الأرمني الشرقي.

ويجب أن ننوه أن تأثير اساهاكياں على من عاصره من الأدباء ومن خلفه يتجاوز قيمته مبدعاً. شأنه في ذلك شأن الكثير من الرواد والمحدثين.

ولقد اتخذ الأديب الكبير كوركين اجميان (١٩٠٣ - ١٩٦٩) اسمه الأدبي كوركين حاهاري وبهذه التسمية دخل تاريخ الأدب الأرمني ملحمة اساهاكيان (أبو لالا ماهاري) تقع الملحمة في مقدمة من تسعة عشر بيتاً تليها ٣٦٤ بيت مقسمة إلى ثمانية «سورة» (يسمها الشاعر سوراه).

أحداثها بسيطة جداً. فبطل الملحمة، أبو العلاء المعري، يتعرض لنحيبه أمل شديد الوقع على النفس في بغداد، تولد فيه كرهاً شديداً «للإنسان الخائن» و«المستبد» و«السام» ويأخذ قافلته ويغوص في لا نهاية الصحراء. الملحمة بأغلبها هي خواطر الفيلسوف الفار مندمجة مع طبيعة البادية وظواهرها من ليل هادئ، فضوء القمر، إلى ليل هائج عاصف وشروق الشمس والنهار.... يسود التشاؤم على جميع أطوارها إلا الصورة الأخيرة حيث يسير المعري متوجاً بشمس الخلود.

لقد أخذ النقاد على اساهاكيان هذا الشؤم العارم ونظرته السوداء إلى «الأخ» «والمرأة» والحضارة إلخ.. وهذا الهروب في الإنسانية من دون عودة. فهي ليست من سمات اساهاكيان، وليست من سمات بطله الحقيقي، المعري. إنما تعود بالإضافة إلى الخصائص المدرسية للملحمة الرومانسية - إلى حالة ظرفية أثرت على اساهاكيان. هكذا يصف الشاعر ميلاد الملحمة.

«كان ذلك في أيلول ١٩٠٩. كنت قد خرجت من السجن تَوّاً بكفالة ولكن الدعوة كانت مستمرة في حقي. طلبتني شرطة محافظة (يرفان) إلى تحقيق آخر. ركب القطار في (الكسندربول) إلى (يرفان).

كان قائد القاطرة من بلدتي. ذهبت إليه، كنت متوقفاً على فسحة القاطرة انظر إلى الأمام، إلى البعيد، باتجاه سير القطار وكنت أفكر - يا ليت القطار ينطلق بي هكذا إلى مالا نهاية.... بعيداً من كل السلطات والتحقيقات والمحاكمات.. وعندما دخل القطار بادية ساردارباد، لمحت على الأفق في الأصيل ظلال قافلة الجمال. كانت صورة الملحمة جاهزة.. بعد عودتي إلى قريتي كتبت الملحمة في ثلاثة أيام..

قصة شبيهة لميلاد ملحمة «الفارس» لادام ميتسكيفيتش<sup>(١)</sup>، خرج الشاعر من حفلة صاخبة في بيطرسبرغ وعندما لمح قرب بسرعة مجنونة خلال الظلمات الهائجة..؟؟ الرياح إلا أن ملحمة «الفارس» يسودها روح النضال والمحبة والتفاؤل، على نقيض اساهاكيان.

<sup>(١)</sup> Addam mickiewicz، شاعر بولوني قومي ليبرالي تعليمي نشر عام ١٨٢٨ مجموعتين شعريتين بعنوان شغاري والمتنبى وهي ترجمات حرة موزونة من مؤلفات هذين الشاعرين العربيين، تستند على ترجمات فرنسية نثرية. وفي نفس السنة ألف ملحمة الفارس، حيث الفارس العربي ينتصر على جميع المصائب التي تحاول إعاقة..

### ترجمة الملحمة إلى العربية:

الترجمة الأولى شاتويان والأسدي نشرت عام ١٩٤٠ تلتها ترجمة ناظاريان - وخليلي - ولهذه الأخيرة عدة نشرات آخرها طبعت في حلب عام ٢٠٠٣ بصور الرسام العالمي مارديروس ساريان.

ترجمة ناظاريان - خليلي ، رغم كونها أفضل الاثني ، لا تعطينا - للأسف - صورة صادقة عن الشاعر اسهاكيان - فهي ترجمة سطرية نثرية تبدد صور اسهاكيان المدججة وتسلبها وزنها وديناميكيته وشاعريتها.

ولقد ارتأينا أن نترجم بضعة أبيات علنا نتمكن من تقديم صورة عن الملحمة مع إلحاق أقل قدر من الأذى للأصل.. ومن أجل ذلك لنشرح بعض الخصائص الشكلية للأصل قبل محاولة تقليدها في الترجمة.

عمد اسهاكيان القصيدة المسماة بـ Gazel في الشعر الأرمني. الاسم مستمد من الفارسية وهي كلمة «غزل» العربية. درج هذا النمط في الشعر الأرمني اعتباراً من القرن الرابع عشر. والقصيدة تتكون من ثنائيات أبيات ، في الثنائية الأولى هناك كلمة أو عبارة تحتّم البيتين تسمى «الرديف» ، تسبقها مباشرة قافية الشعر.

وفي الثنائية اللاحقة تطبق القافية والرديف على السطر الثاني. أما السطر الأول فقافيته حرة.

عمد اسهاكيان الأسطر الثنائية إلا أنه لم يلتزم بأية قافية. فلنتذكر أن زمانه كان عصر التحرر فما أسموه «نير القافية» ، وانطلاق «الشعر الحر». إلا أنه التزم بالوزن على طول الملحمة.

اتخذ اسهاكيان الوزن ٤×٥ - أي «القدم» مؤلف من خمسة «مقاطع» والسطر الواحد مؤلف من أربعة أقدام والغاية من هذا الوزن الطويل إضفاء الانسيابية والموسيقية المناسبين للبيئة الصحراوية اللامتناهية الأبعاد.

وهذا سطرٌ كما قرن الملحمة باللغة الأرمنية

إليكُم بعض الثنائيات حاولنا ترجمته مع الحفاظ على هذا الوزن.

### السورة الأولى:

وقافلةُ أبو المعري تمشي الهوينى كخبرِ نبعٍ  
ترنُّ الأجراسُ وبطءُ مسيرٍ ليلٍ مستلقٍ في حُلُوِّ النفسِ  
تقيسُ الطريقَ الملتويَ خطأً بطيئهً متساويهً  
رنين الأجراس طيبٌ المسمع يغمرُ طوفاً قرارَ الهولِ



تنامُ بغدادُ ناعمَ الرخاءِ حُلْمها الجَنَّةُ برَّاقُ الألوانِ في جنانِ  
يشدو البلبَلُ في جنانِ الوردِ غَزَلاً حُلواً بدموعِ الحبِّ

#### السورة الرابعة:

والليلُ الرهيبُ، اسودَّ وعملاقُ كخُفَاشِيَةٍ أرختُ الجناحَ  
وانسدلت على القافلة ودروبها والسهلُ المحيطُ  
ومن أفقٍ إلى أفقٍ عبأ السما عبوسُ الغيومِ  
زالت النجومُ وزال القمرُ عُتْمَةً أُخْرَى لَفَحَتْ عُتْمَهُ

وهَوَّجُ الرياحُ افلَنت غزواً ككُرِّ الخيولِ بريٍّ وطلیقِ  
تَقْصُفُ موجاً تَخْلُطُ بالغيومِ تربةَ السهولِ المحترقةِ  
بقشعريرةِ المناحةِ كانت تنادي بألفِ صُراخِ  
فرائسُ جرحى تزجُرُ تئنُّ بأفواهِ الريحِ ترفعُ الصُراخِ  
وفي الوديانِ كانت تلتوي في خمائلِ نَخيلِ العذراءِ  
تجهشُ حزناً تنوحُ دمعاً قلبٌ جريحٌ فاقدُ الآمالِ  
سيرى قافلة جابهى الرياحُ ولا تَقْهَقُرْ إلى حدِ الأرضِ  
هكذا كان ينادي الوجدانُ أبو المعريَّ عملاقُ الأشعارِ  
زمجري رياحُ ويا عواصفِ اقصفي رأسي بجلدِ السياطِ  
أجابهكم مكشوفَ الجبينِ لا أهابكم هيّا اضربوا..

#### – الثنائيات الأخيرة من السورة الثامنة والأخيرة

أبو المعري سِرُّ البصيرةِ يحدِّقُ بالشمسِ ثابتِ العيونِ  
يطيرُ روحه ابدًا يقظ مشعل سعادة تملأ بالنورِ  
من ورائه بيداء عاريه مستلقية في أحضان الضوء

على رأسه الشمس تميز تفر الأصقاعُ جدائلُ ياقوت  
على كتفيه رداء الملاك أبو المعري عملاق الأشعار  
ابداً يطير منتصرٌ شامخٌ إلى الشمسِ خلودِ الشمسِ

يجب أن ننوه أننا اعتمدنا بعض الشيء على الترجمة السطرية لنظاريان - وخليلي، في اختيارنا لبعض المرادفات.

وعمدنا أن يكون الجزء الأكبر من هذه الترجمة من السورة الرابعة لأنها تشكل العمود الفقري للملحمة، وتعطينا الانطباع بأن كيان السورة كان متطلعاً على المعلقات ونظامها النبوي، وفي هذه الحالة الشعر في الليل ومخاطر الطريق...

كتب لاساها كيان قصيدة ثانية تستمد موضوعها من الأدب العربي والبيئة العربية. في عامي ١٨٥٨ - ١٨٥٩ نشرت مجلتيان أرمنيتان سرداً بعنوان «عنتر» يتحدث عن عنتر بن شداد ورسالته في الدفاع عن قبيلته وفروسيته وشهامته وقصة حبه مع Gul Nazaz..، وليست عبلة، مما يدل على مصدر فارسي... عنوان القصيدة «الحب الأبدي» تقع أحداثها في «بلاط تدمر المبني بالأضواء» وبطله «السمان» يقول لاساها كيان بأنه استمدّها من شخصية عنتر، القصيدة تقع في مائة بيت وأُلفت عام ١٩١٤ في برلين.

### ج - المعري باللغة الأرمنية.

صدر في بيروت عام ١٩٧٢ كتابٌ باللغة الأرمنية عنوانه «أبو العلاء المعري - الإنسان، الشاعر والفيلسوف» ثم «سيرة حياة الشاعر والفيلسوف العربي العظيم ونماذج مترجمة من أعماله» المترجم: سيسال فارجابديان.

يقع الكتاب في ٢٥٨ صفحة يستهله المترجم بمقدمة باللغة الأرمنية تتبعها واحدة باللغة العربية. ثم يأتي تقديم للكتاب من قبل الأستاذ نزار خليلي تليه سيرته الذاتية..

يبدأ العمل بقصيدة أصلها باللغة الإنكليزية في مديح المعري ألفها أمين الريحاني مقدمة لترجمته للمعري إلى اللغة الإنكليزية. يلي القصيدة بحثٌ مقتضب عن اللغة العربية والأدب العربي القديم وبعده دراسة عامة حول المعري في ثلاثة أبواب - مقدمة - آراء حول المعري - سيرته وأعماله.

يقدمنا فارجابديان ١٢١ رباعية مترجمة إلى اللغة الأرمنية معتمداً على ترجمة أمين الريحاني إلى اللغة الإنكليزية.

ثم هناك تقديم لـ «رسالة الغفران» يليه تلخيصٌ وسرد أحداثٍ لستة عشر مقطعٍ من العمل ، أغلبها فصول اللقاء مع الشعراء ، دون ذكر المصدر. بعده تقديم مقتضب لرسائل المعري ثم ترجمة سبعة منها ، دون ذكر المصدر.

يضم الكتاب في آخره ملحمة اسهاكيان.

وبمقارنة «رباعيات» اللزوميات مع الأصل تبين أنَّ هناك حضوراً هزلياً جداً للمعري في ترجمة الترجمة. أما «رسالة الغفران» ، فكأنها رواية بوليسية بعناوينها المصنفة «اجتماع أصدقاء» - «قصرين» ، «نكتة» ، «رحلة صيد» ، «اجتماع أدبي» ، «الأوز» ، «جدال».

نكتفي بالقول : إنه عملٌ شعبيٌّ ، وإن كانت هذه الصفة لا تعفي عملاً من التزام الدقة ، ولنسدل «ستار الرحمة» على ما تبقى من نقد.

تضعنا هذه الحقيقة أمام ضرورة تأمين ترجمة علمية لمختارات من أعمال المعري مع التقديم والتحليل المناسبين. تدرس ملحمة اسهاكيان في المدارس الأرمنية من الصفوف الابتدائية إلى الدراسات العليا في أرمينيا وفي الشتات في الكثير من بلدان العالم وهذا التدريس يخلق التساؤل - من هو المعري؟

وليس من اليسير إعطاء ردٍ لهذا السؤال ، إذ تتطلب تضافر جهود أكثر من فريق... و«رب كتاب كان خير سفير»

## المصادر والمراجع

### أ- باللغة الأرمنية :

- ١- أبو العلاء المعري ترجمه سيساك وارجابديان بيروت ١٩٧٢ مطبعة أطلس.
- ٢- اسهاكيان - مختارات من أربعة أجزاء - يرفان ١٩٥٨.
- ٣- اسهاكيان - مختارات الويليل المقري - أربعة أجزاء - يرفان ١٩٧٥.
- ٤- اسهاكيان (١٠٠) وصف لاحتفالات الويليل المقري مع مجموعة أبحاث في أعماله - يرفان ١٩٧٥.
- ٥- الموسوعة الأرمنية السوفياتية.
- ٦- تاريخ الأدب الأرمني القديم - ابيغيان - بيروت ١٩٦٨.
- ٧- سلسلة المصادر الأجنبية في التاريخ الأرمني - المصادر العربية الجزء الثاني - ابن الأثير ترجمة وتقديم آرام دير غيفوفتيان يرفان ١٩٨١.
- ٨- المؤلفون العرب عن أرمينيا - القرن التاسع والعاشر - ترجمة وتقديم آرام دير غيفوفتيان - يرفان ٢٠٠٥.

### ب - باللغة العربية :

- ٩- لزوم ما لا يلزم - اللزوميات - لأبي العلاء المعري - جزئين - دار صادر بيروت ٢٠٠٦.
- ١٠- رسالة الغفران - أبو العلاء المعري - تحقيق د. درويش هويدي - المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٤.
- ١١- رسائل أبي العلاء المعري - تحقيق وشرح وضبط حسان الطبي - دار المعرفة بيروت ٢٠٠٥.

### ج- باللغة الأرمنية والعربية :

- ١٢ - ملحمة المعري - اويديك اسهاكيان - ترجمة ناظر ناظاريان - الصور لمارديروس صاريان - حلب ٢٠٠٣.